نشأة الإستيطان الصهيونى فى فلسطين

(١٨٣١ — ١٩١٤)

للدكتور عبد العزيز محمد عوضه

مدرس التاريخ الحديث
كلية الآداب — جامعة الرياض

استمرت هجرة اليهود إلى فلسطين على شكل جماعات قليلة فى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر، ثم شهد الربع الأخير منه تحولا خطيراً فى عدد ونوعية المهاجرين اليهود(١) ، ذلك أن نسبة كبيرة منهم كانت من الشباب الصهيونى الذين يملأ جوانحهم الشعور القومى ويعتبرون أنفسهم معيدى بناء الوطن القومى اليهودى(٢) .

وهكذا بدأ الاستيطان الصهيونى فى فلسطين على أسس استهدفت تحويل فلسطين إلى وطن يهودى ؛ وتمثلت بامتلاك الأراضى وانشاء المستعمرات عليها وإحياء اللغة والثقافة العبرية ؛ هذا وقد مرت حركة الاستيطان الصهيونى فى فلسطين بمرحلتين(٣) هما :

١ — مرحلة الاستيطان غير المنظم وتنتهى بسنة ١٩٠٠ .

٢ — مرحلة الاستيطان المنظم وتبدأ بسنة ١٩٠٠ .

وتعود أهمية سنة (١٩٠٠) إلى أن البارون أدموند دى روتشيلد(٤) تخلى فى هذه السنة عن إدارة المستعمرات التى أسهم فى تمويلها وتنازل عنها إلى جمعية الاستعمار اليهودى « Jewish Colonization Association » أو الأيكا I. C. A.(٥) .

أولا : مرحلة الاستيطان غـــير المنظم . وامتازت بسيطرة مشاريع الاستيطان الفردية التى تمثلت بالجهود والمساعى التى بذلها بعض المتحمسين من اليهود وغيرهم ، واتخذت طابعاً خيرياً ، وكان الدافع لها غالباً العطف على فقراء اليهود ومد يد العون والمساعدة لهم ، ولم تكن هذه الجهود منظمة، حيث لم يكن هناك من شىء يربط بينها سوى العطف على اليهود ، ومن أشهر المشاريع الفردية .

— مشروع مونتفيورى :

تقدم السير موسى مونتفيورى (Sir., Moses Montefiore) بمشروع لتوطين اليهود فى فلسطين أثناء الحكم المصرى لبلاد الشام (١٨٣١ — ١٨٤٠) واجتمع من أجل ذلك مع محمد على باشا وولده إبراهيم فى سنة ١٨٣٧ ، ويتلخص عرض مونتفيورى برغبته فى الحصول على أراضى مثة أو مئتى قرية لمدة خمسين عاماً على أن يدفع لمحمد على ربحا يتراوح بين ١٠ ٪ و ٢٠ ٪ من إنتاجها على أن يكون دفع جميع المبالغ فى الاسكندرية وبشرط إعفاء الارض والقرى التى ستمنح من الضرائب التى يعرضها الباشا (محمد على) أو حكام المقاطعات التى تتبعها القرى(٦) . لكن محمد على لم يوافق على المشروع .

وعندما عادت بلاد الشام ثانية للحكم العثمانى فى عام ١٨٤٠ جدد مونتفيورى جهوده لتنفيذ المشروع ، فزار الآستانة عدة مرات، واستطاع أن يحصل من السلطان عبد المجيد على فرمان فى سنة ١٨٥٦ م بالإذن بشراء

قطع من الأراضى بالقرب من القدس ويافا ، فأنشأ فيها بساتين وأسكنها عائلات قليلة من المستوطنين اليهود[٧] . لكن مشروع مونتفيورى لم يلق نجاحاً ، على الرغم من اهتمامه به وزيارته فلسطين أكثر من سبع مرات حيث أبقت السلطات العثمانية مشروعه مجمداً[٨] .

وهكذا تحفظت الدولة العثمانية إزاء مشاريع الاستيطان اليهودى فى فلسطين منذ البداية؛ وكانت قد رفضت من قبل مشروعاً تقدم به «بالمرستون» حث فيه السلطان العثمانى على تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين . كما سبق حصول مونتفيورى على فرمان ١٨٥٦ م ، وصول جماعة من اليهود المغاربة فى سنة ١٨٠٠ يقدر عددهم بثلاثين عائلة استقرت فى قرية شفا عمرو قرب الناصرة ، واشتغلت بزراعة الحبوب وقد تلقت هذه الجماعة مساعدات من بعض اليهود والمسيحيين الانكليز ، لكنها فشلت فى الزراعة وانتقلت إلى حيفا حيث اشتغلت فى التجارة ، هذا ويعزى فشلها فى المجال الزراعى لعدم اشتغالها فى الأعمال الزراعية من قبل[٩] .

مشروع لورنس أوليفانت[١٠] (Laurance oliphant.) :

تقدم لورنس أوليفانت عضو البرلمان الإنجليزى فى سنة ١٨٧٩ بملاحظات إلى الباب العالى حول إسكان المهاجرين اليهود فى جوار القدس بزعم أن المقصود من ذلك هو إعمار البلاد والقيام بخدمة سياسية للدولة العثمانية وإتاحة الفرصة أمامها لإظهار ما تكنه من عطف للطائفة اليهودية التى لاقت الاضطهاد فى كل مكان ؛ فاختارت بسبب ذلك الهجرة إلى ملجأ أمين وجدته فى الأراضى العثمانية . وأن الثروات التى سوف يحضرها المهاجرون اليهود معهم ستجعل من المكان الصحراوى القاحل فى فترة وجيزة من الزمن أرضاً عامرة ، تكون بدورها وسيلة لإعمار المناطق المجاورة لها وبذلك تعطى الدولة الدليل القاطع على نواياها الإصلاحية وتظهر للعالم بأنها تغتنم

كل فرصة لتحقيق الإصلاح الذى يرجع القصور فى تطبيقه إلى الضيق المالى فقط .

وبعد أن قدم لورنس أوليفانت لمشروعه بهذه الملاحظات خلص إلى القول ، بأنه يطلب السماح لجماعة من اليهود العثمانيين لإنشاء شركة عثمانية خالصة تقوم بإعمار لواء القدس وتطوير أمور الصناعة والتجارة والزراعةفيه وذلك كله يخدم سياسة الحكومة العثمانية أمام الدول الأجنبية(١١). وخلاصة مشروع أوليفانت كما وصفه كتابه « أرض جلعاد » تتضمن فصل منطقة البلقاء عن لواء نابلس ليستطيع اليهود من رعايا السلطان استغلال أراضى البلقاء بواسطة الأموال والخبرات والصناعات التى سيحضرونها معهم وستبيع الدولة الأراضى الأميرية هناك بثمنها وستأخذ الضرائب عنها فى كل عام ، كما ستبعد البدو عن المنطقة . وتباشر نفوذها الفعلى فى المناطق الصحراوية المجاورة ، بالإضافة إلى إعمار البلاد وعطف العثمانيين على اليهود(١٢) . ولكن مشروع أوليفانت فشل فى نيل موافقة السلطان(١٣) .

وإلى جانب هذه الجهود الفردية وجدت جمعيات يهودية فى أوروبا ، فقد تشكل الاتحاد الإسرائيلى العالمى (الإليانس) فى باريس عام ١٨٦٠ وهو منظمة يهودية عالميةلحماية وتحسين أحوال اليهودواستطاع فىعام١٨٧٠م افتتاح أول مدرسة زراعية بالقرب من يافا سميت مكفا إسرائيل . وفى سنة ١٨٧١ تأسست فى لندن مؤسسة مماثلة للأليانس سميت الاتحاد اليهودى الانكليزى .

وأسس يهود روسية « جمعية محبى صهيون » . كما تأسست جمعيات ومنظمات أخرى فى سائر المدن الأوربية . وقد تنافست هذه الجمعيات فى تأسيس فروع لها بهدف جمع الأموال لمساعدة اليهود على الاستيطان فى فلسطين ، وقد قامت هذه المؤسسات بجهود لتشجيع الهجرة اليهودية

إلى فلسطين عن طريق تأسيس المستعمرات والمدارس الصناعية والزراعية(١٤) .

لكن المساعدة الأقوى جاءت من البارون ادموند دى روتشيلد الذى أسس على نفقته الخاصة سبع مستعمرات ، كانت من أوائل المستعمرات اليهودية فى فلسطين ، كما أنشأ صندوقاً للتوسع فى أعمال الاستيطان . وذلك بتأهيل المستوطنين وشراء الأراضى وبناء البيوت وإرسال المدربين الزراعيين لتعليم المستوطنين أعمال الفلاحة وزراعة الكروم التى قامت عليها صناعة الخمور التى أصبحت صناعة أساسية فى بعض المستعمرات(١٥) .

وفى سنة ١٩٠٠ تخلى البارون ادموند دى روتشيلد عن إدارة المشروع ونقل الأرض ووسائل الملكية الأخرى إلى جمعية الاستعمار اليهودى فى لندن وأعطاها أيضاً عشرة ملايين دولار إضافية للاستمرار فى تنفيذ المشروع(١٦) . وبذلك قدم البارون ادموند وابنه جيمس مساعدات سخية شملت مستعمرات بتاح تكفا ، ريشون لزيون ، زكرون يعقوب ، وروشبينا(١٧) ومستعمرات أخرى .

وسنتحدث عن بعض المستعمرات التى تأسست فى المرحلة الأولى للاستيطان الصهيونى فى فلسطين .

— مستعمرة مكفا إسرائيل . وتأسست فى سنة ١٨٧٠ وتعنى بالعبرية « أمل إسرائيل » وكان شارل نيتر قد تقدم باقتراح للسفارة العثمانية فى باريس باسم الاتحاد الإسرائيلى العالمى لإنشاء مدرسة زراعية فى لواء القدس .

وبعد أن أجرى الباب العالى اتصالات مع والى سورية بخصوص الأراضى والاعفاءات المطلوبة ، وبعد البحث والمذاكرة مع شارل نيتر تبين للجنة مجلس شورى الدولة أن المدرسة تستهدف ترقية الزراعة والفلاحة فى البلاد على أساس

فنى ، لذلك اقترحت الترخيص للمدرسة باشغال (٢٦٠٠) دونم تؤجر للجمعية مع إعفائها من ضريبة العشر لمدة عشر سنوات . وعلى أن لا يتجاوز البناء الحد الذى يحتاجه طلاب المدرسة وهو ستون طالباً عثمانياً ، وعلى أن المدرسة تحت إشراف نظارة المعارف العثمانية ١٨) .

وقدرت الدولة ثمن الأراضى بمبلغ ثمانين ألف قرش . ومدة الامتياز خمسة وعشرون عاماً على أن يتم إنشاء المدرسة خلال سنتين من تاريخ صدور الارادة (٢ صفر ١٢٨٦ هـ) وآلا تعتبر الدولة الاتفاق لاغياً(١٩) ، وقد تم تنفيذ المشروع ؛ ولكن المدرسة أخلت بشروط الاتفاق فى آخر العهد العثمانى عندما حصرت القبولِ فى اليهود الأشكنازيم أما اليهود السفارديم والعرب فلم يستفيدوا منها إلا فى حالات نادرة(٢٠) . فقد كان الهدف من مكفا اسرائيل تزويد المستوطنين اليهود بالخبرة الزراعية وتقديم التسهيلات لهم(٢١) ، ويعتبرها المؤرخون اليهود أول مستعمرة زراعية يهودية فى فلسطين(٢٢) ، وفى التسمية إشارة واضحة لمطامع اليهود فى فلسطين فى ذلك الوقت المبكر نسبياً .

وقد نمت هذه المستعمرة بسرعة فكانت تشغل فى سنة ١٨٧٤ حوالى ٣١٢٠ دونماً ، (٥٢٠ دونماً زيادة عما ورد فى الامتياز) . وكانت تستخدم الفلاحين العرب فى أعمالها الزراعية ، ولكنها فى نفس الوقت كانت تلقى معارضة الفلاحين فى القرى المجاورة والذين لم يرحبوا بها ، وحدثت مشاكل حول حدودها ، كما اعتدى الفلاحون على مزروعاتها ، وأتلفوا قسماً منها(٢٣) ذلك أن الفلاحين لم يرحبوا بوجود مؤسسة أجنبية تتوسط قراهم ، وقد عرفت هذه المستعمرة لدى عرب فلسطين باسم مستعمرة نيتر نسبة إلى شارل نيتر مؤسسها .

— مستعمرة بتاح تكفا (١٨٧٨) وتعنى بالعبرية « باب الأمل » .

قام بتأسيس هذه المستعمرة جماعة من يهود القدس استطاعت تملك قطعة أرض إلى الشمال من مدينة يافا(٢٤) ، وذلك بعد ثمانى سنوات من تأسيس مستعمرة مكفا اسرائيل. وقد أصبحت بتاح تكفا فيما بعد من أوسع وأنجح المستعمرات اليهودية فى فلسطين ، رغم تعرض أوائل المستوطنين لحمى الملاريا(٢٥) ، ومرورها بأزمة مالية خانقة فى سنة ١٨٨٥ تمكنت من إجتيازها بفضل المساعدات المالية التى تلقتها فى أعقاب زيارة حاخام اليهود الأكبر فى لندن وزيارة مندوب « جمعية محبي صهيون » . فقد سجلت هاتان الزيارتان مرحلة جديدة فى مستقبل هذه المستعمرة(٢٦) . التى يشير اسمها أيضاً — باب الأمل — إلى أمل المستوطنين اليهود فى نجاح مشاريعهم الاستيطانية .

هذا ويجدر بنا ونحن بصدد الحديث عن الاستيطان غير المنظم أن نشير إلى الجهود التى بذلتها « جمعية محبي صهيون »(٢٧) ، والتى تبنت فكرة إستيطان فلسطين وإحياء اللغة العبرية فيها . وبذلك نبتت أولى بذور الصهيونية السياسية ، وفى سنة ١٨٩٠ عرفت الجمعية باسم « جمعية مساعدة المزارعين والمهنيين اليهود فى فلسطين وسورية ، وكانت برئاسة ليون بنسكر(٢٨) .

وتمثل نشاط «جمعية محبي صهيون» فى فلسطين بإقامة مستعمرة «ريشون لزيون » — الأولى فى صهيون — قرب يافا فى سنة ١٨٨٢ ويمكن اعتبار هذه المستعمرة بداية الاستيطان الصهيونى . الفعلى لفلسطين(٢٩). ثم تأسست فى نفس العام مستعمرتا « زكرون يعقوب » — ذكرى يعقوب — إلى الجنوب الشرقى من حيفا وروشبينا — حجر الزاوية — فى الطريق بين طبرية وصفد وكان سكانهما من يهود رومانيا .

وقد أصبحت المستعمرات الصهيونية السابقة بالإضافة إلى مستعمرة « رحبوت » التى تأسست فى سنة ١٨٩٠ بالقرب من « ريشون لزيون » من

أوسع المستعمرات الزراعية فى فلسطين وأكثرها أهمية على الرغم من أن المستوطنيين الجدد فيها لم تكن لديهم الخبرة الزراعية(٣٠) . وهكذا تمكن اليهودمع أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر من تأسيس ثمانى مستعمرات زراعية فى فلسطين لم يتجاوز عدد المستوطنين فيها ألف نسمه(٣١) . وقد لاقت هذه المستعمرات صعوبات كثيرة سواء كان ذلك من قبل السكان العرب أو من السلطات العثمانية . لكن معظمها تلقى مساعدات مالية وفيرة .

ثانياً ــ مرحلة الاستيطان المنظم :

قررت الحركة الصهيونية فى مؤتمر بال (أغسطس ١٨٩٧) التخلى عن الاستيطان غير المنظم الذى يدعمه بعض المتمولين اليهود لأغراض دينية وخيرية ، والأخذ ببرنامج إستيطان منظم له أهدافه السياسية الواضحة التى تحظى بتأييد جماهير اليهود(٣٢) . وذلك بعد أن لمست الحركة الصهيونية عدم نجاح الجهود التى بذلت لتأسيس المستعمرات الزراعية فى فلسطين خلال الفترة (١٨٨٢ ــ ١٨٩٧) رغم الإعانات المادية السخية التى قدمها أغنياء اليهود فى أوربا لأسباب منها :

ــ إن كثرة من اليهود وجدت فرصة جديدة للهجرة إلى الولايات المتحدة.

ــ إن الهدف الذى كانت تسعى الصهيونية لتحقيقه ألا وهو بناء الأمة اليهودية فى فلسطين وهو العامل الوحيد الذى يجعل إستيطان فلسطين أكثر إغراء من غيرها لم يكن واسع الانتشار بين يهود أوربا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

ــ عدم التنسيق بين جمعيات الاستيطان المختلفة والتى تأسس منها بمجهودات فردية . وفشلها فى تحقيق الاكتفاء الذاتى للمستعمرات نظراً للصعوبات التى واجهت مشاريعها .

وفى سبيل الاسراع بالاستيطان المنظم ، عملت الحركة الصهيونية على إيجاد الأجهزة والأدوات والتى كان الهدف منها تعميم عملية الاستيطان وتمويلها والاشراف عليها والتأكد من أنها لن تلقى مصير التجارب التى سبقتها(٣٣) . ولتحقيق هدف الحركة الصهيونية وهو كما عبر عنه المؤتمر الصهيونى الأول « السعى لإيجاد وطن قومى لليهود فى فلسطين يضمنه القانون العام » . اتخذ المؤتمر القرارات التالية(٣٤) :

— توطين عدد مناسب من اليهود فى فلسطين يختارون من بين الزراع والصناع ورجال الأعمال .

— تنظيم اليهود محلياً ودولياً وفقاً لقوانين كل دولة .

— تنمية الوعى القومى اليهودى وتقويته .

— الحصول على الموافقات الحكومية الضرورية .

وقد استغرق الإعداد لأدوات الاستيطان الصهيونى فترة فى الوقت ، نظراً لانشغال هرتزل فى أجزاء اتصالاته مع السلطان عبدالحميدالثانى ولعدم استقرار الرأى لدى الحركة الصهيونية فى عهدهرتزل(توفىفى يولية١٩٠٤). على استيطان فلسطين فى ناحية أخرى(٣٥) . فقد ظهر مشروع استيطان العريش وسيناء ثم مشروع أوغنـــدا ، وكان هرتزل يرى أن الاستيطان اليهودى لفلسطين على نطاق واسع ومنظم لا يمكن البدء منه قبل الحصول على براءة الاستيطان(٣٦)، التى تضمن لليهود الحقوق القانونية والعامة ، لذلك لم يشأ هرتزل ترك الحركة الصهيونية تنتقل إلى المرحلة العملية قبل تأمين الاعتراف الرسمى لها .

وبعد وفاة هرتزل الذى تزعم « الصهيونية السياسية » — والتى كانت ترى عدم الشروع فى استيطان فلسطين قبل الحصول على براءة من السلطان العثمانى تأذن بالاستيطان وتعترف صراحة بأنه يهدف إلى خلق كيان سياسى

ثم بذاته — سيطرت « الصهيونية العملية » التى كانت ترى أن الاستيطان لا يتطلب الموافقة المسبقة من السلطان العثمانى . ثم جاءت خطة جديدة دعاها حاييم وايزمن « الصهيونية التوفيقية » التى أقرها المؤتمر الصهيونى الثانى (١٩٠٧) وتدعو إلى استمرار التسلل البطىء وتنظيمه ورعايته حتى إذا ماقامت فى فلسطين مستعمرات يهودية نشيطة ، استطاعت الحركة الصهيونية أن تضغط على السلطات الحاكمة لإصدار البراءة المطلوبة ثم الحصول بعد ذلك على الضمانات الدولية اللازمة لحماية الاستيطان الصهيونى فى فلسطين(٣٧).

وفى المؤتمر الصهيونى التاسع فى هامبورغ (ديسمبر ١٩٠٩) أعلن ماكس نوردو تخلى الحركة الصهيونية عن فكرة المطالبة ببراءة الاستيطان قائلا « ... وبمنتهى الاحترام نودع فكرة البراءة فى محفوظات الصهيونية السياسية ونقلع عن الحديث عنها بعد اليوم »(٣٨) .

وفى المؤتمر الصهيونى العاشر (بال أغسطس ١٩١١) سيطرت الصهيونية العملية على المؤتمر وتخلت عن فكرة الحصول على البراءة التى كان هرتزل يرى وجوب الحصول عليها قبل المباشرة فى الاستيطان . ولما تقدم من أسباب سبق البارون أدموند دى روتشيلد الحركة الصهيونية فى إيجاد جمعية تتولى تنظيم الاستيطان اليهودى فى فلسطين .

— جمعية الاستعمار اليهودى : — عمد البارون أدموند دى روتشيلد إلى تغيير أساليبه الإدارية بعد أن لمس عدم نجاح مشاريعه الزراعية فى فلسطين ، فتنازل فى أول يناير ١٩٠٠ عن إدارة المستعمرات التى كان يشرف عليها مثل بتاح تكفا ورحوبوت وريشون لزيون وزكرون يعقوب(٣٩) إلى جمعية الاستعمار اليهودى التى تأسست خصيصاً لهذا الغرض ، فأخذت فى مساعدة المدارس اليهودية الصناعية والزراعية(٤٠) ، كما قامت الجمعية بطرد المستوطنين غير المناسبين ، وعملت على توسيع أراضى المستعمرات وتنظيم إدارتها بحيث

تكتفى ذاتياً . ونتيجة لهذه الإجراءات سخط كثير من المستوطنين اليهود على الإدارة الجديدة وهاجروا إلى استراليا وأمريكا(٤١) .

ونالت جمعية الاستعمار اليهودى معاضدة بريطانيا ، فأصدرت سفارتها فى استانبول تعليمات إلى القنصل البريطانى فى القدس بالاستمرار فى تقديم الحماية البريطانية لمشاريع الجمعية فى متصرفية القدس(٤٢) وقد تفرعت عن الجمعية مؤسسات زراعية ، وكان من بين المهام التى أنيطت بها شراء الأراضى وتدريب القادمين الجدد من المستوطنين على الزراعة والإستفادة من الأساليب الزراعية الحديثة فى المستعمرات(٤٣) .

هذا وقد قامت الجمعية أيضاً بتزويد المستوطنين بكل ما يلزمهم لتكوين أنفسهم فى المستعمرات من بناء ورأسمال وعقار، وكان على المزارع اليهودى دفع كامل قيمة المزرعة، ولا يستطيع أخذ سند التسجيل « الطابو » قبل تسديد جميع الأقساط(٤٤). وبذلك كانت الجمعية تبيع الأرض فى نهاية الأمر إلى المزارع اليهودى بعد أن يدفع ثمنها على أقساط طويلة الأجل أو تمنحه حق استئجارها لفترة طويلة(٤٥) .

واختلفت جمعية الاستعمار اليهودى عن غيرها من أدوات الاستيطان المنظم ، من حيث استخدام مستعمراتها للعمال العرب لملاحظة الكروم وفلاحة الحقول وقطف العنب والبرتقال وغير ذلك من الأعمال الزراعية التى تعتمد على وفرة الأيدى العاملة . ولذلك كانت العلاقات بين المستوطنين اليهود وجيرانهم العرب ودية نوعاً ما . وهذه الحالة تختلف تماماً عنها فى المستعمرات الصهيونية(٤٦) كما سنرى .

أما أجهزة الاستيطان الصهيونى فكان أهمها :

ـ الوكالة اليهودية : وترجع نشأتها إلى مؤتمر بال (١٨٩٧) وهى الجهاز

الذى يشرف على حركة الاستيطان ويعنى بإسكان المهاجرين فى المتسعمرات ومن الأسس التى انتهجتها الوكالة اليهودية فى فلسطين ؛ اشتغال المزارع بنفسه ، ومعنى ذلك أن لا يعطى المزارع من الأراضى زيادة عما يستطيع زراعته هو وعائلته فقط دون أن يتلقى مساعدة فى العمل من الخارج . وقد بقيت مستعمرات الوكالة اليهودية غير مكتفية ذاتياً(٤٧) .

ـ الصندوق القومى اليهودى ؛ « الكارن كايمت » .

تعود فكرة إنشاء مصرف قومى يهودى إلى المؤتمر الصهيونى الأول فى بال (أغسطس ١٨٩٧) . وقبلت الفكرة فى المؤتمر الصهيونى الرابع الذى انعقد فى لندن (أغسطس ١٩٠٠) بهدف شراء الأراضى فى فلسطين ، وقد سجل المصرف فى لندن باسم « الكارن كايمت » فى سنة ١٩٠٤(٤٨) وتمكن الصندوق من امتلاك حوالى خمسة عشر ألف دونم من الأراضى فى منطقتى يافا والجليل فى سنة ١٩٠٥(٤٩)

ومهما يكن من أمر فإن مساحة الأراضى التى أصبحت فى عهدة الصندوق لم تتجاوز مساحتها قبيل الحرب العالمية الأولى عشرين ألف دونم، ومن بين المستعمرات التى مولها الصندوق القومى اليهودى مستعمرات دجاينا ، وبنى شمن وخلده . وتلخصت سياسة الصندوق « بالسعى لاسترداد الأراضى بالشراء ، على أن تصبح الأراضى التى فى عهدته فى حالة وقف دائم. كما كان من بين واجبات الصندوق تزويد المهاجرين الجدد بقطع مناسبة من الأرض للسكن والاستثمار (٥٠) .

هذا وقد اشترك الكارن كايمت مع الكارن هايسود ـ الصندوق التأسيسى اليهودى فى انفاق مبالغ طائلة لانشاء المستعمرات ، ويبدو أن تسديد جميع النفقات لم يكن ممكناً ، كما لم يكن ثمة ضرورة تدفع «الكارن كايمت» إلى طلب تسديد النفقات ، فهو لم يبع الأرض للمستوطنين اليهود ، بل لم يكن بمقدور أحد من المستوطنين دفع فائدة المبالغ التى صرفها الصندوق على الأرض

التى يستغلها . واشترط « الكارن كايمت » فى عقود الإيجار استخدام اليهود فقط ، كما اشترط أيضاً أن لا يستلم الأرض أحد غير اليهود ولم يعط المزارع اليهودى المستأجر من « الكارن كايمت » مستندات تؤمن له الزراعة أو تبين شروط الايجار ، وعلى أى حال فإنه لم يكن بحاجة إلى تشريع يضمن له حق البقاء فى الأرض(٥١) .

مما سبق يتبين أن الصندوق القومى اليهودى قد حرص عند ابتياع الأرض على اعتبارها ملكا جماعياً للشعب اليهودى ، واستهدفت الحركة الصهيونية من ذلك إظهار اليهود بمظهر الأمة الواحدة ذات الملكية الواحدة ، لأن مبدأ الملكية الجماعية — من وجهة نظرها — يقوى التضامن بين الأفراد ولأن الملكية الخاصة التى تقوم على حافز الربح قد تغرى اليهودى ببيع أملاكه إلى غير اليهود أو استخدام الأيدى العاملة غير اليهودية لرخصها ، وكل ذلك يتناقض مع المخطط الصهيونى الذى يرى أن الفلاح اليهودى هو الذى يجعل الأرض يهودية ، حتى أن الصندوق القومى اليهودى لم يكتف بابتياع الأرض باسمه بل سعى لامتناع أصحاب الملكيات الخاصة من اليهود بتحويل ملكياتهم الخاصة إلى ملكية عامة أو على الأقل الامتناع عن استخدام العمال العرب فى أعمالهم الزراعية ، لذلك اشترط الصندوق قصر الاقراض والمساعدة الفنية على الفلاح اليهودى الذى يستخدم العمل اليهودى فقط فى أرضه(٥٢) . وكانت مستعمرة دجانيا (تأسست ١٩٠٩) على بعد أميال والى الجنوب من بحيرة طبرية أول مستعمرة صهيونية « كبوتس » طبقت فيها سياسة الصندوق القومى اليهودى(٥٣) .

— الصندوق التأسيسى اليهودى : « الكارن هايسود » .

« بينما كان « الكارن كايمت » مختصاً بشراء الأراضى فإن « الكارن هايسود » كان مختصاً بالخدمات العامة ولاتخاذ الوسائل العلمية للاستيطان(٥٤) . وكانت

نفقات الصندوق الأساسية كثيرة جداً ، وزاد رأس المال المصروف فى كل مستعمرة على قيمتها ، ونصت المادة السابعة فى عقود الصندوق :

« أن يتعهد المستعمر ، ما دام لم يسدد السلفيات المعطاة له بأن يقيم فى الأرض الزراعية ، وأن يقوم بذاته أو بمساعدة عائلته بجميع أشغال الفلاحة اللازمة فى مزرعته ، وأن يتعهد أيضاً بأن يستأجر عمالا من اليهود فقط إذا، أو كلما اضطر لاستخدام عمال »(٥٥) .

— المصرف اليهودى للمستعمرات .

كانت غاية المصرف العمل فى فلسطين وسوريا وفى أى جزء فى العالم إذا رأت الحركة الصهيونية أن مصلحة الشعب اليهودى تستدعى ذلك ، وفى المؤتمر الصهيونى الثالث فى بال (أغسطس ١٨٩٩) حددت أهداف المصرف بدقة أكثر فأصبحت « من أجل إخراج وتحسين وإدارة الاستعمار فى الشرق لاسيما فى فلسطين وسوريا وسائر أنحاء العالم ، وفى المؤتمر الصهيونى السابع فى بال (يوليو/ أغسطس ١٩٠٥) وتحت تأثير الأغلبية التى تنادى باستيطان فلسطين حدد مجال نشاط المصرف فأصبح منحصراً فى فلسطين وسوريا وسائر أنحاء تركيا الآسيوية وفى شبه جزيرة سيناء وفى جزيرة قبرص(٥٦) » .

— الشركة الإنكليزية الفلسطينية :

تأسست فى لندن فى يناير ١٩٠٢ ، وكان رأسمالها مئة وعشرين ألف جنيه استرلينى ، ومركزها الرئيسى يافا ولها فروع فى القدس(٥٧) والخليل وبيروت وصفد وطبرية وفروع أخرى فى المستعمرات الصهيونية الرئيسية(٥٨) .

ولما لم يكن هدف هذه الشركة الربح المالى ، بل البحث عن الامتيازات لمشروعات اقتصادية ، فقد حرصت على مساعدة الحكومة العثمانية بقروض مقابل الحصول على امتيازات للحركة الصهيونية فى فلسطين ورفع القيود عن الهجرة اليهودية .

وتتلخص أغراض الشركة فى إيجاد مكان فى فلسطين لليهود والمهاجرين فى أقطار أوربا الشرقية لممارسة حقوقهم الكاملة ، وخلق نواة يهودية فى فلسطين قادرة فى المستقبل على التزود بالقيم والتقاليد اليهودية . والنهوض بفلسطين كى تحتل مكاناً مرموقاً يليق بالشعب اليهودى(٥٩) .

ولما طلبت الشركة منحها ترخيصاً للعمل فى يافا باعتبارها مؤسسة تجارية رفض رئيس المحكمة التجارية فى يافا طلبها (٦٠) ، وعندئذ تدخل القنصل البريطانى فى القدس لدى المتصرف الذى أوعز بدوره إلى قائمقام يافا لإبلاغ رئيس المحكمة بأنه يتحمل مسئولية تأخير تسجيل الشركة ، باعتبار أن ذلك يفسح المجال أمام المداخلات الأجنبية(٦١) . وقد قاطع العرب فى يافا هذه الشركة ورفضوا التعامل معها إلى أن أوقفها جمال باشا عن الاستمرار فى العمل فى أوائل عام ١٩١٦ (٦٢) .

— شركة تطوير الأراضى الفلسطينية المحدودة :

وافق المؤتمر الصهيونى السابع المنعقد فى لاهاى (أغسطس ١٩٠٧) على تأسيس هذه الشركة(٦٣) وتم تسجيلها فى ٢٠ يناير ١٩٠٩ ، وكان هدفها الرئيسى تشجيع استيطان اليهود فى فلسطين بشراء قطع من الأراضى وإعدادها للزراعة(٦٤) ، وقد تعاونت هذه الشركة مع أجهزة الاستيطان الصهيونى الأخرى ، فكانت تعمل على استصلاح الأراضى لحساب الصندوق القومى اليهودى ، ثم تسلمها عند الطلب وبدوره يسلمها إلى الصندوق التأسيسى اليهودى لإسكان المهاجرين اليهود فيها(٦٥) .

إدارة المستعمرات:

تنوعت أساليب إدارة المستعمرات اليهودية بتنويع أنظمة الاستيطان اليهودى فى فلسطين ، فقد كانت التشكيلات الاجتماعية فى المستعمرات متنوعة

منذ البداية ، فكان هنالك أملاك للأفراد ومستعمرات تعاونية يكون العمل مشتركا فى بعضها وفردياً فى أخرى . ومستعمرات اشتراكية قليلة العدد لا يتقاضى العامل فيها أجراً بل توزع فيها الأعمال والحاجيات حسب المفهوم الاشتراكى ٦٦ .

ويعود هذا التنوع فى أساليب إدارة المستعمرات إلى أن عدداً من اليهود جاءوا إلى فلسطين بوسائلهم الخاصة ، فاستغلوا المزارع التى اشتروها بأموالهم دون مساعدة خارجية ؛ كما وجدت مستعمرات فيها مستوطنون يمتلكون الأرض ويدفعون أقساطاً سنوية إلى الجمعية اليهودية التى ابتاعت الأرض أصلا. ووجدت مستعمرات أخرى تدار بموجب نظام تعاونى خاص ، فيما يتعلق بشراء الأدوات وغيرها من وسائل الإنتاج وتسويق المنتوجات(٦٧) . فمثلا شكلت تعاونيات لتصدير البرتقال وبيعه وكذلك كان مزارعو الكروم يرسلون إنتاجهم من العنب إلى مصانع الخمور الكبيرة فى « ريشون لزيون »(٦٨) .

وقد قام بإدارة المستعمرة مجلس منتخب من أصحاب الأملاك تألف من سبعة أعضاء رأس أحدهم المجلس وتولى آخر الأعمال الكتابية فيه وكانت وظيفة المجلس القيام بكافة إحتياجات المستعمرة . وإلى جانب المجلس ، وجد المختار وهو رئيس المستعمرة ، وتقاضى راتباً شهرياً ، وتمتع بصلاحية طرد الفلاحين ومعاقبتهم ؛ ووصف مؤلف معاصر للمستعمرات الصهيونية فى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى صلاحيات المختار بعد زيارته لمستعمرة بتاح تكفا « ... وهو لا يرضى بأقل وسيلة أو سبب يخل بالشكل العبرانى فى ملبس — بتاح تكفا — فهو الحاكم والآمر والمالك الوحيد لهذه القعبة تحت اسم مستعار ، ويتعذر على أى شخص غريب كان أن يعيش أو يتحرك فى القصبة ما لم يكن بإذن المختار — وعلى علم منه ، وليست هذه الحالة خاصة بملبس وحدها ، بل هى عامة فى جميع المستعمرات اليهودية . ا. هـ. ثم وصف الروح

العبرية القوية فى المستعمرة » . . . لا يدور على الألسنة بعناد تام إلا كلمات عبرانية . . . فلا شىء فى جميع الأطراف غير العبرانية . . . الأوجه جميعها عبرانية » ا . هـ(٦٩) .

وذهبت الحركة الصهيونية إلى أبعد من ذلك فكانت مستعمراتها شبه حكومة لها دوائر للادارة والمالية والزراعة والتعليم(٧٠) ، كما كان للحركة الصهيونية فى المستعمرات محاكم ومجالس اشتملت على القضاة والشهود وسلطات التنفيذ والادارة(٧١) . ويستأنف المستوطنون اليهود مشاكلهم لدى هيئات الاستيطان التى مر ذكرها حتى لا يرجعوا إلى السلطات العثمانية فى شىء فى خلافاتهم .

وقد أدرك السكان العرب فى يافا كل ذلك فأبرقوا فى فبراير ١٩١٤ إلى الصدر الأعظم يبلغونه أن الصهيونيين «حكومة داخل حكومة» فهم يعتقلون الأهالى فى مدرسة ودار بلدية تل أبيب ويعاقبونهم بالضرب والسجن(٧٢) . وهكذا كان سكان جميع المستعمرات من اليهود ولا أثر للموظفين العثمانيين أو أى مظهر إدارى عثمانى آخر فيها ، بل كان كل شىء فيها عبرانياً بحتاً(٧٣) . فالمستوطنون لا يخالطون ولا يستخدمون أحداً من غير اليهود ولهم بريدهم الخاص ، كما ظهرت السمات اليهودية بارزة فى الأسواق والأحياء التى سكنها اليهود فى مدن فلسطين(٧٤) .

أما إدارة المستعمرات الصهيونية فقد اتخذت أشكالاً متعددة اعتمدت على نوع كل مستعمرة ، وبصفة عامة كان فى فلسطين ثلاثة أنواع من المستعمرات الصهيونية هى :

١ — مستعمرات ذات صفة قومية ، وملكيتها للحركة الصهيونية ، وعمل فيها المستوطنون اليهود بأجر ، وقد تولت الهيئات الصهيونية المختصة بمشاريع

الاستيطان الاشراف على إدارتها لصالح الحركة الصهيونية ، وهى التى تدفع جميع النفقات وتحصل على جميع الأرباح ولا تعطى للعامل سوى الأجر مع توفير المسكن والخدمات الأخرى له .

٢ — مزارع تعاونية أو جماعية « كيبوتزيم »[٧٥] ويتقاضى العمال أجورهم فيها حسب الإنتاج بالإضافة إلى توزيع جزء من الأرباح السنوية عليهم . وقد جرت التجربة الأولى للمزارع التعاونية فى مستعمرة الشجرة فى عام ١٩٠٨ عندما تسلمت جماعة من العمال أرض المزرعة لاستثمارها مدة سنة واحدة . وتولت الجماعة أيضاً مسئولية توزيع العمال بين أفرادها ، وقد أظهرت الأرباح النهائية قدرة العمال على تنفيذ المشاريع الجماعية ، وفى العام التالى قامت تجربة مماثلة فى مستعمرة دجانيا ، بعد أن اختلفت جماعة من العمال مع مدير المستعمرة فيما يتعلق بأساليب إدارة المستعمرة وأضربت عن العمل فى عام ١٩٠٩ ؛ فقام المسئولون فى الحركة الصهيونية بتسليم قسم من أراضى المستعمرة إلى فريق من العمال المضربين كمتعهدين جماعيين للأراضى . ثم استبدل فى العام التالى فريق العمال بآخر ، حوّل المزرعة إلى « كيبوتز » دائم .

وبذلك كانت « دجانيا » أول كيبوتز فى فلسطين ، ثم رأت الحركة الصهيونية فى المزارع الجماعية « الكيبوتزيم » وسيلة مثالية لاستقدام أعداد كبيرة من المهاجرين واستيعابهم بربطهم بالأرض وبالتنظيمات العسكرية والعمالية ربطاً محكماً ؛ فتعهدتها وشجعتها[٧٦] وعملت على تطويرها .

٣ — قرى تعاونية أو جماعية « موشافيم » :

رأت جماعات أخرى من العمال أن العمل الجماعى التام والشامل فى المزارع الجماعية « الكيبوتزيم » حالة متطرفة تعوق حرية الفرد ، وكان العمال المتزوجون أكثر إحساساً بذلك ، ربما لأن الحياة الزوجية تقوى

الميول الفردية من ناحية ولأن « الكيبوتز » لم يأخذ بعين الاعتبار انضمام العمال المتزوجين إليه ، لذلك بدأ نوع جديد جمع بين نظامى المزارع الجماعية والفردية فبدأت حركة «الموشافيم» مستوطنات العمال الزراعيين فى المناطق المجاورة للمستعمرات القائمة والتى بحاجة لأيدى عاملة ذات خبرة زراعية ، وتم ذلك أولا فى بئر يعقوب ١٩٠٧ ثم فى عين غانم ١٩٠٨ ولخالات يهوذا (١٩٠٨) وكفار معلل ١٩١٤ .

وكان القصد فى حركة « الموشافيم » اقامة أحياء عماليـــة يقوم فيها العمال الزارعيون ببعض الأعمال الزراعية الخاصة بهم ، ويعملون أيضاً بأجر فى المستعمرات المجاورة ، لكن التجربة أثبتت قصورها ، لأن أسلوب المزارع الصغيرة التى كانت مصدر رزق ثانوى للأعضاء العاملين بأجر فى المستعمرات القريبة ، كان غير كاف اقتصادياً إلا إذا منح كل عضو قطعة من الأرض تكفيه لكسب عيشه ، ففى مستعمرة عين غانم وزعت حصص الأرض بالتساوى بين جميع الأعضاء بغض النظر عن قدراتهم المـالية(٧٧)؛ واستهدفت الحركة الصهيونية تشجيع « الموشافيم » لايجاد ارتباط كامل بين اليهودى والأرض وذلك بالعمل الدائم فيها ، وسعياً لأن تصبح كل مستعمرة مستقلة ذاتياً كتعاونية للمنتجين الزراعيين .

هذا وقد واجهت المستعمرات اليهودية فى فلسطين مشاكل كثيرة منها :

١ ــ مقاومة السكان العرب : وقد ارتبطت هذه المقاومة بإحساس السكان بأخطار المطامع الصهيونية فى فلسطين ، وبنمو الوعى القومى عندهم وإن كان وئيداً ، فبينما استطاع اليهود القدماء من سكان المدن وبخاصة فى المدن الأربع (القدس ، الخليل ، صفد ، طبرية) التعايش مع السكان العرب . . رفض الصهيونيون من سكان المستعمرات الزراعية فكرة التعايش أو الاندماج فى المجتمع العربى ، ذلك أنهم حملوا معهم فكرة جديدة ، تمثلت بتأسيس مجتمع يهودى كوسيلة لاحياء الثقافة العبرية(٧٨).

وهكذا جاء المستوطنون الصهيونيون إلى فلسطين بدافع تأسيس وطن خاص بهم ، تمهيداً لإقامة دولة يهودية تجتذب مع الزمن جمع يهود العالم ، ولذلك لم يستسيغوا فكرة التعايش الدائم مع السكان لأنهم يريدون أن تكون فلسطين خالصة لهم وحدهم .

٢ ــ مقاومة السلطات العثمانية : والتى لم يكن بإمكانها النظر بعين العطف لوجود استيطانى صهيونى فى جزء مهم من أراضيها ، لذلك فرضت القيود المتلاحقة لمنع الهجرة اليهودية ولمنع تملك اليهود للأراضى فى فلسطين غير أن سلاح الرشوة والتحايل على القوانين والاهمال مكّن اليهود من شراء قسم من أراضى فلسطين ، وإن كان يبدو قليلا ، لكنه كان نواة الوجود الصهيونى فى فلسطين .

فقد حصل اليهود فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر على فرمانات من السلطان بتملك قطع من الأراضى ، لكن معظمها كانت بطرق غير مشروعة ، مما دعا حكومة السلطان عبد الحميد إلى التشدد فى تنفيذ قراراتها بمنع اليهود من امتلاك الأراضى فى فلسطين ، ففى عام ١٨٩٣ شكا اليهود الأنكليز فى القدس من القوانين العثمانية التى أصدرها الباب العالى بمنع اليهود من ابتياع العقارات الثابتة (الأبنية والأراضى) أو نقل ملكيتها من يهودى لآخر . ولكن تحت ضغط الحكومة البريطانية على الدولة العثمانية ، غضت السلطات العثمانية فى فلسطين الطرف عن بعض الصفقات(٧٩) .

وفى عام ١٨٩٦ أجازت الدولة العثمانية لليهود الذين استوطنوا البلاد قبل أبريل ١٨٩٢ تملك العقارات الثابتة . لكنها ظلت متشبثة بقرارها عدم السماح للشركات اليهودية فى خارج فلسطين بشراء الأراضى أو إجراء معاملات نقل الملكية إليها(٨٠) ، ثم عادت الحكومة العثمانية فى عام ١٩٠٤ فتمسكت بقرار منع بيع الأراضى والعقارات فى فلسطين إلى اليهود من جميع الجنسيات ،

لأن معظم اليهود الأجانب كانوا يأتون إلى فلسطين بغرض شراء الأراضى والإقامة الدائمة فيها(٨١) .

وفى آخر عهد السلطان عبد الحميـــد وضعت السلطات المحلية العثمانية صعوبات أمام تملك رعايا الدول الأجنبية ، ومنعت انتقال الأراضى إلى الأجانب حتى ولو كان البائع أجنبياً ، بسبب رغبة الدولة فى منع إقامة المستعمرات اليهودية فى فلسطين(٨٢) . واتبعت الحركة الصهيونية خطة لنزع ملكية الأراضى من أصحابها العرب ثم التخلص من الفلاحين ، على أن يتم تنفيذ ذلك بسرية ، وإبعادهم عن الأرض بتوفير فرص العمل لهم خارج فلسطين وإغلاق مجالات العمل أمامهم فى فلسطين ، حتى يضطروا للنزوح عنها ، ولا يفكروا فى العودة إليها فى المستقبل ، وكان هرتزل يرى أنه لا بأس إذا اعتقد أصحاب الأرض من العرب أنهم يغشون الحركة الصهيونية ببيعهم الأراضى بأسعار أكثر من قيمتها الحقيقية ، فإن الأراضى لن تعود إليهم مرة ثانية(٨٣) .

وبإلقاء نظرة على عدد المستعمرات اليهودية التى قامت فى فلسطين حتى عام ١٩١٤ يتبين ازدياد عددها باستمرار فبينما كانت خمس مستعمرات فى عام ١٨٨٢ ضمت (٥٠٠) يهودى ارتفع عددها فى عام ١٩٠٠ إلى اثنين وعشرين مستعمرة ضمت (٥٢١٠) من اليهود ثم تضاعفت فى عام ١٩٤٧ فبلغت سبعاً وأربعين مستعمرة ضمت (١١,٩٩٠) يهودياً . وتلاحظ العلاقة بين ازدياد عدد المستعمرات ونشاط الهجرة اليهودية بعد عام ١٨٨١ .

وفيما يلى جـــدول يبين عدد المستعمرات اليهودية(٨٤) وسكانها(٨٥) ومساحتها(٨٦) فى مرحلتى الإستيطان المنظم وغير المنظم :

المستعمرات	سكان المستعمرات	سكان المدن	المساحة بالدونمات
مستعمرة	نسمة	نسمة	
١ ـ مرحلة الاستيطان غير المنظم ... ... (٢٢)	٥٢١٠	٤٤,٧٩٠	١٥٧,٠٧٣
٢ ـ مرحلة الاستيطان المنظم ... ... (٢٥)	٦,٧٨٠	٢٨,٢٢٠	١٦٣,٩٨٤
المجموع ... (٤٧)	١١,٩٩٠	٧٣,٠١٠	٣٢١,٠٥٧

وفى الجدول السابق يتبين استمرار ازدياد عدد المستعمرات فى فلسطين على الرغم من عدم شرعية وجود معظمها ، فقد كان الترخيص بالإقامة وامتلاك الأرض أو السماح بالبناء يناله اليهود بالرشوة أو بالتحايل على القوانين العثمانية(٨٧) .

٣ ـ انتشار مرض الملاريا ، واجهت صعوبات الملاريا المستوطنين الأوائل ، وحالت دون تقدم الاستيطان الصهيونى فى البداية حيث لم تتخذ إجراءات فعالة لتجنب الإصابة بالملاريا ، لاسيما وأن المستوطنين لم يعتادوا مناخ فلسطين ، فتعرضوا للإصابة بها فى بعض المناطق(٨٨) . ولكن أمكن التغلب على الملاريا بعد تطهير المستنقعات وتجفيفها وزراعة أشجار الكينا بكثرة ، واتخاذ تدابير وقائية ، وتزويد المستعمرات بالأطباء المتجولين والصيدليات(٨٩) .

٤ ـ انعدام القابلية الزراعية عند أوائل المستوطنين ، وعدم تمكنهم من الاستفادة من التربة ، وقد أثر ذلك على مستعمرات روتشيلد إلى حد كبير(٩٠) ، لذلك فضل استخدام العامل العربى الذى كان يتصف بالجلد والخبرة وقلة الأجرة ، على العامل اليهودى الذى افتقر إلى هذه الميزات . وقد تمكنت هيئات الإستيطان المنظم من التغلب على هذه المشكلة ، فاهتمت

بالأساليب الزراعية الحديثة وشكلت شركات من أجل تسويق المنتوجات الزراعية(٩١) .

٥ ـ لم تحقق الحركة الصهيونية نجاحاً عملياً كبيراً فى خلال السنوات العشر الأولى من تأسيسها ، فحتى عام ١٩٠٧ لم تكن قد خطت خطوات كبيرة لدفع جهاز المستعمرات إلى الأمام ، وفى المجال السياسى كانت جهودها أقل نجاحاً ، فقد فشلت الحركة فى الحصول على تسهيلات حكومية وضمانات دولية لاستيطان فلسطين . ومع بداية الحرب العالمية الأولى لم تحقق الصهيونية غير نجاح محدود ، حيث بقى الصهيونيون يشكلون أقلية ضئيلة فى يهود العالم لا تتجاوز ١ ٪ كما أن جميع اليهود فى فلسطين لم يشكلوا أكثر من ٨ ٪ من مجموع السكان ولم يتجاوز ما يملكه اليهود ٢½ ٪(٩٢) من أراضى فلسطين وبقيت الحركة الصهيونية عاجزة عن الحصول على اعتراف سياسى بها سواء كان ذلك من السلطات العثمانية أو أى من الدول الأوربية .

الحـــواشى

(١) سينشر لى بحث فى العدد الثالث من مجلة كلية الآداب ـــ جامعة الرياض . بعنوان « هجرة اليهود الى فلسطين . وموقف الدولة العثمانية منها » .

أما موقف عرب فلسطين من الهجرة اليهودية والاستيطان الصهيونى فقدسبق أن كتبت فيه بحثاً نشرته مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط .(القاهرة) العدد الأول ؛ بعنوان (الحركة العربية فى متصرفية القدس) . لذا اقتضى التنويه .

(٢) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ص ٦٦ .

(٣) يذهب البعض الى الأخذ بتقسيم آخر ، باعتبار الفترة (١٩٠٠ — ١٩٠٨) فترة انتقال بين الاستيطان المنظم وغير المنظم . وبذلك يكون الاستيطان الصهيونى قد مر فى ثلاث مراحل . انظر :

Esco Foundation For Palestine. p, 52. and see also; Palestine Economic Society. p. 6.

(٤) أدموند دى روتشيلد : أحد أغنياء اليهود المشهورين فى باريس ؛ قدم مساعدات مالية جمة للمستعمرات اليهودية فى فلسطين ، فاشترى لها الأراضى وبنى البيوت فيها وأرسل المدربين لتعليمهم الزراعة ... الخ .

(٥) أصبحت تعرف بعد عام ١٩٢٤ بالبيكا (P.I.C.A.) وهى الأحرف الأولى من (جمعية الاستعمار اليهودى الفلسطينية) :

Palestine Jewish Colonization Association.

(٦) Sokolow. Nahum, History of Zionism. vol. I. p. 116 and see also, Bentwich, Norman., Palestine of the Jews p. 23.

(٧) Bentwich, Norman., England in Palestine. pp.5-6.

(٨) F.O. 78/1448, No 44. Jerusalem., 17th Nov, 1859.

(٩) Hyamson, Albert., Palestine, The rebirth of an ancient people. p. 96. and see also; conder, Claude Reignier., Tent work in palestine. Vol. II, p. 327.

(١٠) اتصفت سيرة لورنس أوليفانت بالغرابة والطرافة ، فقد كان سياسياً وفيلسوفاً ومبشراً وصحفيا ورحالة ونائبا فى البرلمان في آن واحد . كرس جزءاً من حياته للتعرف على العالم وأنهى رحلاته بالاقامة فى فلسطين فى مدينة حيفا ، وقد وجدضالته فى الصهيونية كوسيلة لتطوير وتصنيع فلسطين واستغلال أراضيها البور بأموال اليهودية العالمية ، وكأداة لترسيخ النفوذ البريطانى على طريق الهند ، وقد نشر كتابين عن فلسطين هما أرض جلعاد . وحيفا . انظر ؛ أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين ، ص١٨ — ١٩ .

(١١) أرشيف استانبول : داخلية ، وثيقة رقم ٤٤٠٣٤٤/٥ فى ٢٢ شوال١٢٩٦هـ.

(١٢) Oliphant, Laurance. 9 The Land of Gilead. p 504.

(١٣) The Jewish Encyclopedia. Vol IX. pp. 393-94. (Article. « Oliphant »).

(١٤) F.O. 195/2884., No 71 Jerusalem., 21st Dec. 1900

(١٥) The Historical connection of the Jewish people with Palestine. p. 28.

(١٦) Curtis, William Elerog., Today in Syria and Palestine pp. 827–28.

(١٧) Hyamson, Albert M:, Palestine Old and New. pp. 39–40.

(١٨) ، (١٩) أرشيف استانبول : مجلس مخصوص ، وثيقة رقم ١٥٩٣ فى ٢ صفر ١٢٨٦ هـ ، ١٩ ذى القعدة ١٢٨٦ هـ .

(٢٠) فلسطين : العدد ١٦٨ — ٦٧ فى ٤ أيلول ١٩١٢ .

(٢١) The Historical connection of the Jewish people with Palestine. p. 27. and see also Oliphant, Laurance.. Haifa . 288.

Hyamson., op. cit. p. 35. (٢٢)

Conder, Claude Reignier.; op. cit. p. 327. (٢٣)

Esco Foundation for Palestine. p. 51. (٢٤)

Hyamson, Albert.. Palestine Old and New. p. 36. (٢٥)
and see also; sokolow. op. cit p. 329.

Gliphant. Lanrance., Haifa. p. 286. (٢٦)

(٢٧) انبثقت الجمعية عن اجتماع يهودى عام عقد فى مدينة (كوتز) فى ألمانيا بالقرب من الحدود مع روسيا ، حيث تقابل عدد من اليهود يمثلون جميع الفئات اليهودية فى مختلف الأقطار وقرروا استيطان فلسطين زراعيا ونظموا جمعيات جديدة ، واستعانوا بالأموال ليشتروا فى فلسطين أرضا وليؤسسوا فيها مستعمرات نشيطة . انظر :

Menuhin, Moshe., The Decadence of Judaism in our Time. p. 29.

(٢٨) الان تايلر : مدخل الى اسرائيل — مترجم — ص ١٤ .

Williams, Rushbrook., The State of Israel. p. 24. (٢٩)

Hlyamson., od. cit. p. 37. (٣٠)

Mandel, Neville., Turks, Arabs and Jewish (٣١)
Immigration into Palestine, (1882 – 1914). pp. 83—84.

(٣٢) بعد اختتام مؤتمر بال ذكر هرتزل فى يومياته (... لو أردت أن أختصر مؤتمر بال فى كلمة واحدة ، وهذا مالن أفعله : لقلت فى بال أسست الدولة اليهودية ، ولو قلت ذلك اليوم لقابلنى العالم بالسخرية ، ولكن بعد خمس سنوات على وجه الاحتمال وبعد خمسين سنة على وجه التحقيق سيرى جميع الناس هذه الدولة) .

(٣٣) فايز صايغ : الاستعمار الصهيونى فى فلسطين ، ص ٩ — ١١ .

Halperin, Samuel, The political Worldof American (٣٤)
Zionism.d, 6.

(٣٥) ان تردد هرتزل فى اختيار المكان الأنسب لليهود لازمة منذ كتب (الدولة اليهودية) فى سنة ١٨٩٦ فقد طرح اختيار فلسطين والأرجنتين ثم أجاب) سنأخذ مايعطى لنا وماتختاره الرأى العام اليهودى . انظر :

Herzl, Theodor., The Jewish State. p. 95.

(٣٦) استعمل هرتزل كلمة Chapter بمعنى الوثيقة اى البراءة للترخيص بالعمل .

(٣٧) فايز صايغ : الدبلوماسية الصهيونية ، ص ١٠ .

(٣٨) Stein; Leonard., The Balfour Declaration. p. 61.

(٣٩) جون هوب سمبسون : فلسطين ، ص ٥٧ — ٥٨ .

(٤٠) كان الاقبال على المدارس الصناعية أكثر منه على المدارس الزراعية ، حيث لم يستطع كثير من خريجى المدارس الزراعية الحصول على عمل لهم فى فلسطين ، انظر :

F.O. 371/326. No 40321/62 Jerusalem 16th Nov. 1907.

(٤١) F.O, 78/5208. No 10 Commercial, Jernsalem. 17th May 1901.

(٤٢) F.O. 226/228., Const. 18th July 1906.

(٤٣) جامعة الدول العربية : الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، ص ٧ .

(٤٤) Simon. M , Land Settlement in Palestine. p. 22

(٤٥) جون هوب سمبسون : فلسطين ، ص ٧٥ .

(٤٦) المرجع السابق ص ٥٤ .

(٤٧) حتى عام ١٩٣٠ لم يكن بين مستعمرات الوكالة اليهودية من دفعت شيئاً إزاء المبالغ التى أنفقت عليها من الصندوق القومى اليهودى « الكارن كايمت » .

— انظر المرجع السابق ص٦٢ .

(٤٨) نجيب نصار : الصهيونية ، ص٤٥ .

(٤٩) F.O. 195/2199. No 53, Jerusalem , 25th. Nov. 1905.

(٥٠) Granovsky, A., Land problem in Palestine. p. 2, 6 and 67.

(٥١) جون هوب سمبسون : المرجع السابق ، ص ٥٤ ، ٦١ .

(٥٢) أنجيلنا الحلو : عوامل تكوين إسرائيل ، ص ٥١ — ٥٤ .

Weingarten, Murray , Life in a Kibbutz. p. 13. (٥٣)

The Ency clo pedia Americana, Edition., 1963. (٥٤)
Vol. 16. p. 11.

(٥٥) جون هوب سمبسون : فلسطين ، ص ٧٩ — ٨٠ .

(٥٦) نجيب نصار : الصهيونية ، ص ٤٣ — ٤٤ .

(٥٧) تأسيس فرع الشركة فى القدس فى سنة ١٩٠٥ من أجل تقوية مصالح اليهود فى المدينة ، وقد ساهم كثير من اليهود الذين لاعلاقة لهم بالصهيونية فى الشركة بهدف النهوض بالعمل اليهودى فى فلسطين ، انظر نجيب نصار : الصهيونية ، ص ٤٥ .

Sokolow., History of Zionism. Vol II. p. 373. (٥٨)

Hyamson, Albert. The British consulate in (٥٩)
Jerusalem. pp. 581—582.

F.O. 195/2355. No 38. Jerusalem , 6th Sep. (٦٠)
1907.

F.O. 195/2255. Jerusalem., 3rd Sep. 1907. (٦١)

رسالة من المتصرف على أكرم قائمقام يافا ، وما لبثت الحكومة المركزية أن طردت رئيس المحكمة التجارية ، وعينت آخر بدلا منه . انظر :

F O. 195/2255. No 53. Jerusalem 22rd oct. 1907.

Bentwich, Norman., Palestine of the Jews p. 185. (٦٢)

(٦٣) فلسطين : العدد ٢٧١ — ٦٨ فى ١٣ أيلول ١٩١٣ .

Sokolow. op. cit. vol. 11. p. 371. (٦٤)

(٦٥) جون هوب سمبسون : فلسطين ، ص٥٧ .

(٦٦) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ص ٦٤ .

Polson, Newman., The Middle East, p. 24. (٦٧)

Hyamson, Albert., Palestine. old and New p. 41. (٦٨)

(٦٩) محمد رفيق ومحمد بهجت : ولاية بيروت — القسم الجنوبى — ص ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٥ .

(٧٠) الكرمل : العدد ٣٣٥ فى ٢٣ أيار ١٩١٣ .

(٧١) فلسطين : العدد ٢٨٢ — ٧٩ فى ٢٢ تشرين أول ١٩١٣ ، وانظر العدد ٢٨٣ ـ ٨٠ فى ٢٥ تشرين أول ١٩١٣ .

(٧٢) الكرمل : العدد ٤١٩ فى ٧ نيسان ١٩١٤ وانظر فلسطين العدد ٣٠٨ـ١١ فى ١٨ شباط ١٩١٤ .

(٧٣) فلسطين : العدد ٣٢٥ـ٢٨ فى ٦ حزيران ١٩١٤ .

(٧٤) الهلال : السنة ٢٢ ج ٧ (أبريل ١٩١٤) ص ٥١٨ .

(٧٥) كيبوتزيم : جمع كيبوتز وتعنى جماعة .

(٧٦) عبد الوهاب كيالى : الكيبوتز أو المزارع الجماعية فى إسرائيل ، ص١٩ ـ٢٥ .

(٧٧) ابراهيم العابد : الوشاف « القرى التعاونية فى اسرائيل ، ص ١٠ ـ ١٢ ، ص ٤ ـ ٤٤ .

(٧٨) تقرير اللجنة الملكية لفلسطين ، ص١٨ .

(٧٩) F.G. 195/1806. No 19. Jerusalem.: 29th Abril. 1893. and see also. F.O.195/1786. No 27s Const., 23rd July1893.

(٨٠) رسالة من متصرف القدس إلى القنصل الانكليزى مؤرخة فى F.O. 195/2028 ٢٤ ربيع الآخر ١٣١٦ .

(٨١) F,O. 195/2175., No 63. Jerusalem, 19th oct. 1904.

(٨٢) F.O·195/2287.. No 1 Jerusalem., 11th January 1978.

(٨٣) Zohn, Harry., The Complete diaries of Theodor Herzl. Vol. I. pp. 88—89.

(٨٤)(٨٥) Statistical Abstract of Palestine, (1944—1946)

(٨٦) Sokolow. op· cit. Vol. II. pp. 329—331.

(٨٧) Lowenthal, Marvin., The Diaries of Theodor Herzl. p. 276.

(٨٨) Granovsky, A., Land problem in Palestine. p. 79 and see also.; Kurt, wilhelm., Roads to zion. p. 187.

(٨٩) محمد رفيق ومحمد بهجت : ولاية بيروت ـ القسم الجنوبى ـ ٢١٠ .

(٩٠) Curtis, William Eleroy., Today in Syria and Palestine. pp. 328 – 9.

(٩١) Jewish Agency for Palestine. p. 28, 36.

(٩٢) فايز صايغ : الاستعمار الصهيونى فى فلسطين ، ص ١٤ ـ ١٥ .

مصادر الدراسة

تعتمد هذه الدراسة أساساً على الوثائق البريطانية المحفوظة فى مكتب السجلات العامة فى لندن خلال الفترة (١٨٤٠ – ١٩١٤) . كما تعتمد على بعض الوثائق العثمانية المحفوظة فى أرشيف رئاسة الوزراء فى استانبول ، وعلى عدد من الدوريات العربية الصادرة فى فلسطين فى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى مثل جريدة فلسطين (يافا) وجريدة الكرمل (حيفا) . كما استفدت من المراجع التالية :

— Bentwich, Norman., England in palestine. (London, 1932).

— Palestine of The Jews. past present and Future. (London, 1919).

– Conder, Claude Reignier., Tent work in Palestine.(London, 1878).

— Curtis, William Eleroy.· Today in Syria and Palestine. (U. S. A.., 1903).

— Esco Foundation for Palestine., A study of Jewish, Arab and British policies. Vol. I. (U. S. A., 1947).

– Granowsky, A., Land problem in Palestine (London, 1926)

— Land Settlement in Palestine (London. 1930).

– Halperin; Samuel., The Palitical World of American Zionism. (U. S. A., 1961).

— Herzl; Theodor., The Jewish State. (New Ydrk, 1946)

– Hyamsan, ALbert M., Palestine old and New. (London,1928)

— Palestine The rebirth of an ancient people.
(R.S. A., 1919 .

- The British Consulate in Jerusalem (London, 1939.

— Kurt. William., Roads to Zion. (New York,?)

— Lowenthal, Marvin.. The Diaries of Theodor Herzl (N. Y., 1956).

— Mande, Neville., Turks, Arabs and Jewish immigration into Palestine. 1882 – 1914. Middle Eastern Affairs No4. pp. 77-708 (OX ford, 1965).

— Menuhin, Moshe., The Decadence of Judaism in our Time. (New York, 1965).

— Oliphant, Laurance., Haifa. or life in Modern Palestine. (London, 1885).

— The Land of Gilead. (London, 1880).

— Palestine Economic Society., The Communistic Settlements in The Jewish Colonisation in Palestine. (The-Aviv. 1927).

— Polson: Newman ; E.W., The Middle East (London, 1727).

— Rushbrook; Williams L. F., The State of Israel (London,?

— Sokclow, Nahum., History of Zionism. 2 Vols. (London, 1919).

— Stein, Leonard., The Balfour Declaration. (London, 1961).

— The Jewish Agency for Palestine , The Historical connection of the Jewish people with Palestine (Jerusalem, 1927).

— Weingarten, Murray, Life in a Kibbutz (Jerusalem 1962).

— Zohn, Harry., The complete diaries of Theodor Herzl. 5 vols, (U. S. A., 1960).

— إبراهيم العابد : الموشاف ، القرى التعاونية فى إسرائيل (بيروت ، ١٩٦٨) .

- ألان تايلر : مدخل إلى إسرائيل (بغداد ، ١٩٦٥) .
- أنيس صايغ : الهاشميون وقضية فلسطين (بيروت ، ١٩٦٦) .
- بريطانيا العظمى : تقرير اللجنة الملكية لفلسطين (القدس ، ١٩٣٧) .
- جون هوب سمبسون : فلسطين ، تقرير عن الهجرة ومشاريع الاسكان (القدس ، ١٩٣٠) .
- عبد الوهاب كيالى : الكيبوتز والمزارع الجماعية فى إسرائيل (بيروت ، ١٩٦٦) .
- فايز صايغ : الاستعمار الصهيونى فى فلسطين (بيروت ، ١٩٦٥) .
- محمد رفيق ومحمد بهجت : ولاية بيروت ـ القسم الجنوبى - (بيروت ، ١٣٣٥ هـ) .
- نجيب نصار : الصهيونية (تاريخها ، غرضها ، أهميتها) ، حيفا ، ١٩١١ م .